



بقلم: د. د. راشد الراجح

عضو مجلس الشورى ورئيس نادي مكة الثقافي الأدبي
وعضو شرف رابطة الأدب الإسلامي العالمية

وفقدنا شيخ الأدب واللغة

الأديب الكبير، واللغوي القدير
الأستاذ يحيى المعلمي غادر ساحة
الثقافة والأدب واللغة وهي أحوج ما
تكون إلى أمثاله، في عصر أصبحت لغة
القرآن الكريم «اللغة العربية الفصحى»
مهدة حصونها من الخارج والداخل.

كان للمرحوم وتوفيق الله مواقف مشرقة في الدفاع عن هذا التراث الثمين،
والكنز الغالي. وصدق الله العظيم «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»،
ولاشك أن حفظ القرآن يستلزم حفظ اللغة التي نزل بها. وهي اللغة العربية.
إن الفقيه وإن كان تكوين شخصيته في شبابه مبنياً على العلوم
العسكرية.. ولكنه مع ذلك كان له جهد ذاتي في سبيل التحصيل، وصقل
المواهب، والتزود بزد الفكر والأدب واللغة، غاص في أعماق المصادر
فاستخرج اللآلئ، وتسلق السامقات فجنى خير ثمارها، وبنى ثقافته على
أساس متين من العلم والأدب الرفيع، شاهدته يرحمه الله في مناسبات عدة
على كبر سنه، يدافع عما يؤمن به أشد الدفاع، ويذب عن حمى هويتنا
الإسلامية العربية أشد ما يكون الذب والذود، متسلحاً بسلاح الدين
والثقافة الإسلامية، المستمدة من مصادرها الإسلامية الشامخة «الكتاب
والسنة» والحضارة الإسلامية العريقة، رأيته يرحمه الله في اجتماع رابطة
الأدب الإسلامي الذي عقد في القاهرة قبل أكثر من عام في رحاب الأزهر
الشريف يعاني من آلام المرض، ومع ذلك كان يتحامل ويشارك في هذا
المؤتمر بهمة الشباب، وحكمة الشيوخ، وفي منزله بالرياض العاصمة
تشرفت بالسلام عليه مع عدد من أعضاء مجلس الشورى بدعوة من تجله
الفاضل الأديب اللغوي الزميل المهندس عبد الله بن يحيى المعلمي بمناسبة
حصول والده - تغمد الله برحمته - على التكريم في مهرجان الجنادرية
في دورته الخامسة عشرة حيث جعله المهرجان شخصية العام.

فكان يتحدث عن هموم الأدب والثقافة بكل صدق وإخلاص.
وبدعوة من نادي مكة الثقافي الأدبي تشرف النادي بحضوره وإلقائه
محاضرة قيمة عن قيادة الملك عبد العزيز يرحمه الله فكان فيها المخلق
والمبدع. ويحتفظ النادي بنص هذه المحاضرة الثمينة.

كانت له إسهامات، ومشاركات مفيدة، وجديرة بالاطلاع، وذلك في
بعض مؤلفاته المطبوعة، أو أبحاثه ومقالاته المهمة، التي نشرت في وسائل
الإعلام المختلفة، من مرئية ومسموعة، ومقروءة، تمتاز بالجددة والابتكار
والأصالة، وأملنا بعد الله في أنجاله وعلى رأسهم الزميل المهندس عبد الله
أكبر أنجاله أن يواصلوا مسيرة والدهم الطيبة، فهذا الشبل من ذاك الأسد
«ومن شابه أباه فما ظلم».

الله تخبرني أن الأمير يريدني أن أحدثه.
قلت لزوجتي ومن كان معي من صغار
أبنائي.. لقد قضي الأمر.. وتوجهت مع أخي
حسن إلى المطار لأرتب أمر سفري.. وتحدثت
مع مدير مكتب الخطوط الجوية السعودية
الأستاذ عبد الله الأزهرى جزاه الله عني خير
الجزاء وشرحت له الأمر وقلت له سأعود إليك
بعد ساعة.. وعدت إلى مقر سكني لالملم شيئاً
من ملابس وأوراق.. وهاتفت لجلي الأكبر
فارس لأطلب منه أن يقابلني في المطار
وتوجهت مع أبي رائد الدكتور حسن
الإدرسي، وعائلتي وعائلته إلى المطار وكنت
في أثناء ذلك كله على الهاتف مع والدتي
وإخواني وأحبائي في الرياض وجدة والخبر
أتباحث معهم حول ترتيبات الأمر.

كنت أتصرف بآلية وانضباط أثارت
الاستغراب.. فالأمر عندي حتى تلك اللحظة
لم يكن سوى مهمة تحتاج إلى تصرف وتدبير.
في المطار قابلت فارسي واحتضنته قائلاً..
عظم الله أجرك في جددك.. وما إن خرجت
الكلمات من شفتي حتى اجتاحتني العواطف،
ورخص مني الغالي وأخذت أبكي والدي وأنا
في حضن ولدي.. لقد شعرت لحظتها باليتم
والضياع.. ولم أجد إلا صدر ولدي
ليستوعبني.. وشعرت كأن ولدي قد أصبح
والدي.. لقد تعودت أن أكون الجدار الصلب
الذي يستند إليه الجميع.. وظننت أنني
الحصن المنيع الذي يلجأ إليه الكل.. فكيف
بي أقف عاجزاً لا أملك أن أدفع الموت بعيداً
عن أبي.. وكيف بي أرثجف في أحضان ولدي
الذي صار يهدئ من روحي، وكأنني طفل بين
ذراعيه.. أو عصفور بلله المطر في كفيه.. لا
أدري.. كل ما أعرفه هو أنني كنت أبكيك يا
أبت.

يا رب أنزل علي سكينتك.
في الرياض.. لم يكن ولدي إلى جانبي..
فعدت كما كنت.. صديقاً يبكي فوقه الأحبة
في النهار.. وعيناً ترخص الدمع مدراراً في
ظلام الليل الدامس الموحش.
أبكيك يا أبت.. ومثلك تبكيه الرجال.